المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقول الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ومناراً كمنار الطريق)

(مصر — غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٢ — ١٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٤)

شبهات النصارى وحجج الاسلام

كتاب تنوير الافهام

(كلمة تمهيدية في هذا الكتاب)

ذكرنا في الجزء الثالث كلمة هادمة لذلك الكتاب الذي زعم انه بين مصادر الاسلام وليس للاسلام الا مصدر واحد وهو الوحي — وذكرنا هنالك اننا لم نقرأ من الكتاب الا جملة قليلة . ثم اننا عدنا اليه فألفيناه يبتدئ الكلام في الاسلام ابتداء من يتوهم انه عرفه وانه يتكلم في قواعده وأصوله ولكن لم نلبث ان رأينا فيه من الجهل والافتئات على الاسلام ما أثبت لنا ان واضعه كغيره من الطاعنين لم يكتب ما يدري ويعتقده ولم

يعتقد ماعرفه وعلمه بل خبط خبط عشواء فظلم نفسه ، وأتعب عقله وحسه ، وكان بعد ذلك من الخاسرين

انظر تسلم انا نصفه لانتمه ـ ذكر ان أساس الدين القرآن والسنة أوالحديث كما قال وذكر ان الحديث مبين للقرآن فان خالفه لايقبل لان القرآن هو الأصل وذكر ان كتب الحديث المعتمدة عند أهل السنة ستة وعد منها الموطأ وأهمل سنن النسائي ولا بأس بذلك وذكر الكتب المعتمدة عند الشيعة كذلك . ثم بنى طعنه فى القرآن على ما فسره به من الحديث بزعمه وههنا الخلط والاختراع وسوء القصد كما ترى فيما نورد عنه من الشواهد

أول مثال أورده لبيان القرآن بالسنة آية «سبحان الذي أسرى» فزعم ان حديث المعراج مبين لها فاوهم القارئين ان ماورد من عروج النبي الى السماء (بروحه فقط كما عليه قوم من المسلمين أوبروحه وجسده كما عليه آخرون) مفسر ومبين لآية من القرآن مع ان المسلمين مجمعون على ان المعراج مأخوذ من الحديث لامن القرآن ولذلك لايقولون بكفر منكره بل نقلوا ان من الصحابة من أنكره بالمرة حتى السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأردف هذا المثال بآخر فقال : « وكذلك لولا الحديث لما فهم أحد معنى ق وهو اسم احدى سور القرآن فالاحاديث هي التي أوضحت أن المراد بالحرف ق اسم جبل قاف . ولهذا عزمنا بحوله تعالى طلبا للاختصار أن لانورد في هذا الكتاب شيئا مختصا بمصادر الاسلام من عقيدة إسلامية أو تعليم الا ما كان له أصل وأساس في القرآن ذاته ويكون ورد له تفسير وشرح فى الاحاديث المشهورة المتواترة بين كل المسلمين سواء كانوا من اهل السنة اوالشيعة » :

انظر الى ماشرطه على نفسه في الاعتماد على الاحاديث المبينة والمفسرة للقرآن اشترط ان تكون الاحاديث مشهورة متواترة بين كل المسلمين مع أن تفسير حرف (ق) بأنه اسم جبل لم يرد فى حديث مرفوع لامتواتر ولامشهور ولا آحادي صحيح ولاضعيف ولم يذكر في كتاب من الكتب الستة التي ذكر أن أهل السنة وهم القسم الاكبر من المسلمين يعتمدون عليها . فكيف يوثق بكلام مؤلف ويصدق بأنه الفهم

ما اشترطه على نفسه في هذا الكتاب . نعم ان في كتب التفسير التي لا يكاد يخلو واحد منها من سرد الاقوال الاسرائيلية أثرا في ذكر جبل قاف وقد قال القرافي من محققي الامة انه لا يعول عليه ولا يصح وان هذا الجبل لا يوجد ولا يهمنا أن بعض عشاق الروايات الكثيرة سلم به وانما نقول انه شيء لم يصح في الكتاب ولا في السنة ولم يوجد في الكتب المعتمدة التي ذكرها ولا في غيرها مرفوعا الى النبي (ص)

ثم ان الاسرائيليات منبعاً آخر في غير كتب التفسير هو أغزر مادة وأكثر رواية وهو كتب القصص الخرافية التي أسندت الى مؤلفين لا شأن لهم ككتاب عرائس المجالس وغيره في قصص الانبياء وخريدة العجائب وأمثالها وهي كتب طافحة بالموضوعات والاكاذيب كما نبه على ذلك حفاظ الحديث حتى كان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لا يصح في التفسير شيء : وعلى أمثال هذه الكتب يعتمد صاحب كتاب تنوير الأفهام في تفسير القرآن وبيانه مع ما علمت من شرطه الخادع . ومن ذلك ما أورده في الصفحة (٤٢) وما بعدها من قصة ابراهيم عليه السلام أخذها من عرائس المجالس ينبوع الكذب واستدل منها على ان القرآن يستمد أحكامه وأخباره من كتب اليهود ثم اعترف بأن ما في القرآن وعرائس المجالس غير مطابق لما في كتبهم وسببه بزعمه ان محمدا أخذها عن اليهود مشافهة ولم يرها في كتبهم !! ! على ان موافقة القرآن نفسه أو الحديث الصحيح لبعض ما في كتب اليهود دون بعض لا يدل على انه أخذ عنهم وإنما يدل على ان الله تعالى بين له حق كلامهم من باطله وصدقه من كذبه فان كتبهم كأقوالهم لا يعتمد عليها كلها لظهور الكذب والتناقض فيها الى اليوم ولظهور تلفيقها واقتباسها من الامم الأخرى كما بينا ذلك مرارا فهي ككتب القصص عندنا فيها شيء من القرآن والسنة ولكنه ممزوج بالاكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم . ولا شيء يعول عليه في صحة بعض أقوال كتب اليهود دون بعض بعدما طرأ عليها من الضياع والتحريف والخلط الا الوحي وقد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الساطعة ، والآثار النافعة ، وهم يقولون ان المسيح فرق بين الانبياء الصادقين والأنبياء الكذبة بآثارهم وثمارهم فوجب الاعتماد على ما جاء به هذا النبي الكريم دون غيره . والبحث بأنه سمع أو اطلع من الهنديان . وأني يعول النبي الذي لا ينكر الكافرون رجحان عقله على قول أولئك

اليهود الذين شرح للناس مكرهم وكذبهم وتلطف في شأن مايعزونه الى الوحي فأمر أصحابه بأن لايصدقوهم فيه ولا يكذبوهم !!!

كذلك تراه قد اعتمد على عرائس المجالس في قصة سليمان مع ملكة سبأ (كما في ص٦١) وفي قصة هاروت وماروت (كما في ص٦٤) وقد مر تفسير القصة في المجلد السادس من المنار بما يكذب القصاصين كصاحب عرائس المجالس وغيره ومن على رأيهم من المفسرين (راجع ص٤٤٣ من المجلد المذكور) وفي «سبع دركات الارض» (كما في ص٨٥) واعتمد على كتاب قصص الأنبياء في وصف اللوح المحفوظ بناء على انه تفسير لقوله تعالى «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» ذكر ذلك في (ص٩٣) وعبر عنه بمعلومات المسلمين التي استفادوها من أحاديثهم . ثم رجع في الصفحة الـ ٩٩ ان النبي (ص) اقتبس هذه الكلمة من اليهود حين سمعهم يقولون ان الوصايا التي اعطاها الله لموسى كتبت في لوحين . كأنه يرى ان محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام ما كان يعرف هذا اللفظ (لوح محفوظ) لولا انه سمعه من اليهود وان كان اللفظ عربيا والسورة التي ورد فيها مكية انزلت قبل ان يعرف النبي أحدا من اليهود اذ كانوا في المدينة لا في مكة . ثم رجع بناء على تحكمه هذا ان المسلمين لم يفهموا معنى قوله (لوح محفوظ) فكذبوا له تلك الكذبة المذكورة في قصص الانبياء !!! وليت شعري كيف لم يفهموا هذه الكلمة وهي من لسانهم والكتابة في الألواح معهودة عندهم . وكيف احتص النبي بالسماع من اليهود دونهم مع انه كان يراهم ويحاجهم اذ يدعوهم الى الاسلام والمسلمون حاضرون ولم يعرف انه كان يخلو بهم !!! ثم إن ماذكره صاحب قصص الانبياء يجوز ان يكون بسوء فهم وان يكون بسوء قصد ثم عاد الى تفصيل القول في تفسير (ق) بجبل قاف ناقلا عن عرائس المجالس وقصص الانبياء وذكر موافقة مافيهما لما قاله أحد اليهود في كتاب لهم اسمه حكيكاه

وبالجملة مؤلف الكتاب كان سأل أحد علماء المسلمين عن كتاب عرائس المجالس وكتاب قصص الانبياء قبل ان يطالعهما ويستخرج منهما تفسير القرآن : هل هذان الكتابان معتمدان عندكم في التفسير وغيره وهل تعد رواياتهما صادقة ؟ إذن لأجابه بما كان يكفيه مؤنة التعب والعناء بمطالعة تلك الخرافات والاكاذيب وتلخيص الاخبار منها . انما نشفق عليه من مطالعة كتب يحرم المسلمون قراءتها لما فيها من الكذب

والكفر اذا كان قد طالعها ظانا انها معتمدة يحتج بها ولكن الراجح انه يعلم انها كتب خرافية بدليل انه ذكر كتب الحديث المعتبرة عند المسلمين وان كانوا لا يحتجون بجميع ما فيها ولكنه مع وعده بأن سينقل منها المشهور والمتواتر لم ينقل منها حتى ما لم يشتهر ولم يتواتر . لماذا ؟ لانه يريد ان يشكك عوام المسلمين في دينهم بايهامهم انه يعرف كتبهم المعتمدة وينقل عنها وينتقدها . وعند ذلك يتسنى له أو لغيره من شيعته ان ينصر بعض هؤلاء العوام الجهال بعد تشكيكهم مرغبا لهم بمنفعة دنيوية كما عهد من المبشرين في دعوة المسلمين . ولم يعلم المسكين أن من عرف من الاسلام شيئا يصعب ان يهين نفسه بالنصرانية ويعبد البشر (المسيح) من دون الله ويقول ان الله مولود من انثى

ان كتاب عرائس المجالس وقصص الانبياء على شحنهما بما يخالف عقائد الاسلام وأخباره وأحكامه هما أمثل من كتب النصرانية ولا يرضى لنفسه من لم يعرف من الدين والعلم شيئا غير خرافاتهما ان يستبدل بها عقيدة النصارى الوحيدة التي هي مناط الخلاص عندهم وهي ان الآله عجز عن التوفيق بين صفتيه المتناقضتين من الأزل وهما العدل والرحمة فلم يهتد وسيلة لذلك الا منذ ١٩٠٤ اذ رأى ان يحل في بطن امرأة ويولد منها فيكون السائل ثم يصلب كارها راضيا ويجعل نفسه ملعونا لاجل ان يخلص الناس بجعلهم على تصديق هذه القصة التي لا تعقل ويجعل من يصدق بها من أهل الاباحة له الملكوت وان كان أفسق الفاسقين وأظلم الظالمين !!! هل يمكن لمن له ذرة من العقل ان يفضل هذا الاعتقاد الخرافي على خرافات عرائس المجالس وقصص الانبياء ولا لا

هذا نموذج من الشواهد التي زعم مؤلف الكتاب ان القرآن أخذها من كتب اليهود بناء على تفسير الاحاديث المتواترة المشهورة في كتب المسلمين على زعمه وما هي الا في كتب الخرافات كما علمت .

وقد ذكرنا ذلك في الجزء الثالث شاهداً مما طعن فيه بالقرآن من حيث اقتباسه من العرب ونذكر ذلك الآن شاهداً آخر على سبيل الفكاهة لتعرف مبلغ علم هذا المؤلف بالعربية وأساليبها كما عرفت مبلغ علمه بالاحاديث المتواترة وهي عند المسلمين ما رواه جمع عظيم في كل زمن من عهد النبي (ص) الى الآن ـ وما أورده لم يروه جمع ولا واحد ـ جاء في الصفحة الرابعة والعشرين وما بعدها عقب الكلام في التوحيد الذي هو

الشاهد فيه وفي الحنان الذي لم يذكر في القرآن مانصه :

« قال المعترضون وبصرف النظر عن كل هذا فان بعض آيات القرآن مقتبسة من القصائد التي كانت منتشرة ومتداولة بين قريش قبل بعثة محمد وأوردوا بعض قصائد منسوبة الى امرئ القيس مطبوعة فى الكتب باسمه لتأييد قولهم هذا . ولاشك انه ورد فى هذه القصائد بعض أبيات تشبه بل هي عين آيات القرآن على حد سواء أو تختلف عنها فى لفظة أو لفظتين ولكنها لاتختلف عنها فى المعنى مطلقا. وهاك الابيات التي يوردها المعترضون وقد أشرنا على العبارات التي اقتبسها القرآن بوضع علامة تحتها كهذه ـ

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونقر

احور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور

من يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فسقر

بسهام من لحاظ فتكت فتركني كهشيم المحتظر

وإذا ما غاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر

كتب الحسن على وجنته بسحيق المسك سطراً مختصر

عادة الاقمار تسري في الدجى فرأيت الليل يسري بالقمر

بالضحى والليل من طرته فرقه ذا النور كم شي زهر

قلت اذ شق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

(وله أيضا)

أقبل والعشاق من خلفه كأنهم من حدب ينسلون

وجاء يوم العيد فى زينته مثل ذا فليعمل العاملون

لولا ان فى القراء بعض العوام لما كنت فى حاجة الى التنبيه على أن هذه القصيدة يستحيل ان تكون لعربي بل يجب ان تكون لتلميذ أو مبتدىء ضعيف في اللغة من أهل الحضر المختبين عشاق الغلمان فهي فى ركاكة أسلوبها وعباراتها وضعف عربيتها وموضوعها بريئة من شعر العرب لاسيما الجاهليين منهم فكيف يصح ان تكون لحامل لوائهم ، وأبلغ بلغائهم ، هب ان امرأ القيس زير النساء كان يتغزل بالغلمان وافرضه جدلا ولكن هل يسهل عليك ان تقول ان أشعر شعراء العرب صاحب « قفا نبك

من ذكرى حبيب ومنزل » يقول

أحور قد حرت فى أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور

وتضيق عليه اللغة فيكرر المعنى الواحد فى البيت مرتين فيقول أحور بعينيه حور . أتصدق ان عربيا يقول : انشق القمر عن غزال : وهو لغو من القول ؟ وما معنى : دنت الساعة : فى البيت ؟ وأي عيد كان عند الجاهلية يمر فيه الغلمان متزينين ؟ وهل يسمح لك ذوقك بأن تصدق ان امرأ القيس يقول : فرماني فتعاطى فقر : وأي شيء تعاطى بعد الرمي ، والتعاطي التناول ومعناه في الآية فتناولوا صاحبهم فتعاطى فقره أنه تناول رمحا وحنجرا فقر الناقة به والابل تعقر فى نحورها . والعشاق انما يرمون باللحاظ في قلوبهم فهل يقول العربي بعد ما قال ان محبوبه رماه انه تعاطى بعد ذلك فقر ؟ وهل يقول امرؤ القيس : لحاظ فاتك : ؟ فيصف الجمع بالمفرد . وهل يشبه العربي طلوع الشمس في الخد بالسرى فى الليل مع انه سير فى ضياء كالنهار ؟ وكيف تفهم وتعرب قوله

بالضحى والليل من طرته فرق ذا النور كم شيء زهر

وهل يقول عربي أو مستعرب فصيح فى حبيبه ان المذار شق خده شقا ؟

اما البيتان الآخران فهما أبعد عن ذوق العرب وعباراتهم واذكرانني رأيت من عزاهما الى بعض المولدين لأدري هل هو ابن حجة أو غيره على انهما اقتباس من القرآن على ان في الاشارة الى موضع الاقتباس هنا خطأ نحويا لخطأ في القصيدة ففي الآية « وهم من كل حدب ينسلون » وانت ترى ان اللام في البيت لا يستوي فان الحدب هو النشز اي المرتفع من الارض والعشاق لم يكونوا يسرعون مقبلين من ذلك المحل الذى يشبهه مثل هذا الشاعر بالحدب وانما يصح ان يكونوا مقبلين اليه !! اما مخالفة لفظ القرآن في البيت الثاني ففى استبدال ذا بهذا وانظر وزنه المرجوح

بعد هذه الاشارات الكافية فى بيان ان الشعر ليس للعرب الجاهليين ولا المخضرمين وانما هو من حشوة وضعف المتأخرين أسمح لك بان تفرض أنه لامرئ القيس إكراما واحتراما للمؤلف . ولكن هل يمكن احدا ان يكرمه ويحترمه فيقول ان الكلمات التي وضع لها العلامات هي عين آيات القرآن . أما البيتان فقد رأيت ما فيهما . واما ما في

البيت الاول من القصيدة فهو دون جملة ولا يستقيم له معنى . وليس في القرآن (فرماني فتعاطى فعقر) وقد ذكرنا لك الآية آنفا. وقوله (تركني كهشيم المحتظر) مثله وانما الآية الكريمة : « انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » فالمعنى مختلف والنظم مختلف وليس في البيت الاذكر المشبه به وهو فيه في غير محله لان تشبيه الشخص الواحد بالهشيم يجمعه صاحب الحظيرة لغنمه لا معنى له وانما يحسن هذا التشبيه لامة فنيت وبادت كما في الآية، ولعل في الاصل تركتني بدل (فتركني) وبها يستقيم اللفظ والمعنى في الشطر . وليس في القرآن أيضا : كانت الساعة أدهى وأمر : وانما فيه « سيهزم الجمع ويولون الدبر » بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » فههنا وعيدان شرهما الساعة المنتظرة فصح أن يقال: انها أدهى وأمر: وليس في البيت شيء يأتي فيه التفضيل على بابه. واعلم ان هذا الشعر من كلام المولدين المتأخرين هو أدنى ما نظموا في الاقتباس، ولم ينسبه الى امرئ القيس الا أجهل الناس،

ثم ان المعنى مختلف والنظم مختلف فكيف يصح قول المؤلف: ان هذه الكلمات من آيات القرآن وانها لا تختلف عنها في المعنى. ولو فرضنا ان هذه الكلمات العربية استعملت في معنى سخيف في الشعر ليس فيه شائبة البلاغة ثم جاءت في القرآن العربي بمعان أخرى وأسلوب آخر وكانت آيات في البلاغة كما انها في الشعر عبرة في السخافة، فهل يصح لعاقل ان يقول : ان صاحب هذا الكلام البليغ في موضوع الزجر والوعظ مأخوذ من ذلك الشعر الخث في عشق الغلمان وان المعنى واحد لا يختلف ؟؟ فمن كان معتبرا باستنباط هؤلاء الناس وتهافتهم في الطعن والاعتراض على القرآن فليعتبر بهذا ومن أراد ان يضحك من النقد الفاضح لصاحبه الرافع لشأن خصمه فليضحك . ومن أراد أن يزن تعصب هؤلاء النصارى بهذا الميزان فليزنه وانه ليرجح بتعصب العالمين. ومن أراد ان يقيس سائر ما قاله هذا المؤلف في الاستشهاد على كون القرآن مقتبسا من كلام العرب وعقائدهم بعد ما أعياهم أمره ، وقلب طباعهم هديه ؛ ومن كتب سائر الملل في مشارق الارض ومغاربها وان لم يسمع بها بهذا انشاهد وبالشاهد الذي سبق فله ان يقيس فان كل مزاعمه من هذا القبيل. وان لنا كلاما أوضح في الرد عليه نؤخرها لجزء آخر وهي فصل الخطاب ان شاء الله تعالى